مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (١) ملحق (١) آذار. لسنة ٢٠٢٦م -١٤٤٧هـ

ملامح التّنمية التّعليمية الفعّالة في المنظور القرآني

د. سؤدد حمزه حمادي
مديرية تربية بابل / ثانوية المتفوقات للبنات
saddhamzi123@gmail.com

الملخص

يعرض البحث إلى دراسة ملامح التنمية التعليمية الفعالة في المنظور القرآني، وذلك عبر تسليط الضوء على بعض الخطابات القرآنية التي ركز فيها على الجانب الفكري، والعلمي والأخلاقي في بناء الإنسان، ليكون بحق مؤهلًا للقب المستخلف في هذه المعمورة، وهذا ما نُطلق عليه الدراسات الحديثة بالتربية التعليمية المستدامة، ويروم البحث تحليل المرتكزات الفكرية والأخلاقية والعملية عبر تسليط الضوء على بعض الخطابات التي بينها القرآن الكريم، وبيان الأساليب التربوية التي اعتمدها في بناء الإنسان.

الكلمات المفتاحية: (التنمية التعليمية، المنظور القرآني، التربية القرآنية).

Features of Effective Educational Development in the Quranic Perspective

Dr. Suad Hamza Hammadi
Babil Education Directorate / Girls' High School for Gifted Students
saddhamzi123@gmail.com

Abstract

This research examines the features of effective educational development in the Quranic perspective. It does so by highlighting specific Quranic discourses that emphasize the intellectual, scientific, and ethical aspects of human development, preparing individuals to be truly worthy of the title of stewardship on Earth. Modern studies refer to this as sustainable educational development. The research aims to analyze the intellectual, ethical, and practical foundations of this approach by examining selected Quranic discourses and outlining the educational methods employed in human development.

Keywords: (Educational Development, Quranic Perspective, Quranic Education).

المقدمة

يُعدّ القرآن الكريم المصدر التّشريعي الأول للمسلمين، فهو الدستور الرّباني الذي يلبي طموحات وتطلعات المجتمعات فيما لو سارت على نهجه، وامتثلت أوامره واجتنبت نواهيه، ولقد

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (١) ملحق (١) آذار. لسنة ٢٠٢٦م -١٤٤٧هـ

أولى الخطاب القرآني عناية كبيرة بالإنسان من جميع النواحي، وكانت مسالك القرآن في بناء الإنسان ترتكز على ركائز، ولقد كان خطاب القرآن واضحًا وصريحًا بأنّه هادي للطريق الأقوم قال تعالى: { إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ } (الإسراء، ٩.)، لذا فقد أمرنا الله تعالى بالسير على نهجه حينما أنزل هذه الرسالة الخالدة وكلفنا بالعمل على نشرها لينعم بها ويسعد كل من نستطيع الوصول إليه لإنقاذه مما هو به ولإخراجه من الظلمة إلى النور(حسن، ١٩٩٧، ص ٥٢)، قال تعالى: { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}(الأنعام، ١٥٣)

مصطلح التنمية من أشهر المصطلحات المتداولة في الساحة الفكرية في وقتنا الحالي؛ وذلك بفعل التلاقح الحضاري والثقافي بين الشّعوب، واستعمالاته التداولية واسعة جدًا، وإن كان الغرب نظَّر لهذا المفهوم منذ عقود فإن القرآن هو المؤصل الأول لهذا المعنى، فقد لا يجد الناظر في الخطابات القرآنية مصطلح التنمية، فهو مصطلح وافد على الثقافة العربية إلّا أنّ المنظومة المفاهيمية في القرآن الكريم تؤصل لكل مفهوم على مساس مباشر بالإنسان فكل ما من شنّه أن يرتقي بالإنسان نجد له أصل في القرآن تصريحًا أو تلميحًا، والبحث هنا يعرض الأسس التعليمية التي أشار لها القرآن الكريم، والتي من شأنها أن تبني الشخصية المسلمة الفعّالة، والمجتمع الإسلامي العالمي بحكم عالمية الرّسالة الخاتمة، فالمنهج القرآني (منهجٌ كاملٌ، منضبطٌ، ومنظمٌ، ومتسلسلُ الدرجاتِ، ومترابطُ الجوانبِ) (راشد، ١٤٣٦هـ، ص ١٠٠).

ويعرض البحث بعض هذه المفاهيم والتي تعد رّكائز مهمة لتحقيق تعلم فعّال مُستدام يوفّي بتطلعات الأمة المسلمة، و يسير بركبها نحو التّقدم الحضاري كالمرتكز الفكري، والمرتكز الأخلاقي، وتُعدّ التنمية التعليمية في المنظور القرآني عملية شمولية تهدف إلى إعداد الإنسان القادر على أداء دوره الاستخلافي في الأرض(الطباطبائي، ١٩٩٧، ج١، ص ٥٤)، ويتجسد تفعيل هذه المرتكزات عِبرَ مجموعة الأساليب التي وردت في خطابات القرآن الكريم، والتي تهدف لتحقيق تعلّم فعّال في المجتمع الإسلامي، ومن تلكَ الأساليب تفعيلُ دور القدوةِ الحَسَنة، وضربُ الأمثالِ، والقَصص القرآني، كذلك يسلط البحث الضوء على نَهج القرآن الكريم في عَرضِ الحَقائِق

والمعلومات، بالصورة التي يتمكن عبرها المسلم من تعقُّل هذه المعارف، ومن ثَمَّ اكتساب المهارات التي يكون لها أثر كبير في تنمية شخصيته على الصعيد العقلي، والنَّفسي، والاجتماعي؛ ليحقق شخصية سوية متوازنة، توازن بين العلم والعمل، وقادرة على النّهوض بمهام المستخلف التي كلفها الله تعالى بها، وهذه المهام تتسق تماما ما جاء به برنامج التَّربية المستدامة بما تضمنَهُ من أهدافٍ معاصرةٍ تسعى لبناءِ جيلٍ مؤمنٍ بقيمةِ العِلمِ والعَملِ في إطارِ الإيمانِ باللهِ تعالى، والالتزامِ بالمبادئ الإنسانيةِ.

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى دراسة ملامح التنمية التعليمية الفعالة في المنظور القرآني، عبر الإشارة إلى مرتكزاتها الفكرية والأخلاقية والعملية، وبيان الأساليب التربوية التي اعتمدها القرآن الكريم في بناء الإنسان، واقتضت طبيعة البحث أن يتضمن مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع، وخطة البحث كالآتي:

المبحث الأول: المرتكزات القرآنية في تفعيل التنمية التعليمية المستدامة، وتضمن ثلاث مطالب، المطلب الأول: المرتكز الفكري، والمطلب الثاني: المرتكز الأخلاقي، والمطلب الثالث: المرتكز العملي.

أما المبحث الثاني فعنوانه: أساليب التنمية التعليمية الفعالة في ضوء الخطاب القرآني، وتضمن ثلاث مطالب، الأول: القدوة الحسنة، والمطلب الثاني القصص القرآني، والمطلب الثالث: ضرب الأمثال

والخاتمة بأهم النتائج، ثم ثبت المصادر والمراجع، أسال الله تعالى أن يوفقنا لما يحب ويرضى

المبحث الأول: المرتكزات القرآنية في تفعيل التنمية التعليمية المستدامة

للقرآن الكريم منطلقات وركائز لبناء الإنسان ويمكن الإشارة إليها عبر المطالب الآتية:

المطلب الأول: المرتكز الفكري

حظي الجانب العقلي في خطابات القرآن الكريم بعناية استثنائية، فالكثير من خطاباته كانت موجهة لتفعيل تلك الهبة الرّبانية ألا وهو العقل، فهذه القوى التي كانت الفارق بين الإنسان وغيره من المخلوقات، وتظهر تلك العناية في خطابته التي حثَّت على التّعقل والتَّدبر في غالب

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (١) ملحق (١) آذار. لسنة ٢٠٢٦م -١٤٤٧هـ

نصوصه، فعلى سبيل المثال وردت مشتقات مادة (فَكَرَ)في القرآن الكريم في (١٧) آيةً(عبد الباقي، ١٤٢٨هـ، ص ٣٣٠، ص٧٢٣، ص٩٧٠)، وورد ذكر التدبر في القرآن الكريم أربع مرات(عبد الباقي، ١٤٢٨هـ، ص٩٦٩)، ومادة (ذَكَرَ) ومشتقاتها في القرآن الكريم (٢٦٩)،وقد وردت لفظة (الُّلب) في القرآن بصيغة الجمع مضافة إلى (أولي) في (١٦) موضعا(عبد الباقي، ١٤٢٨هـ، ص ٢٢٧)، وغيره من المفاهيم القرآنية التي تخاطب العقول وتحثها النّظر والتّفكر، فإشارات القرآن العلمية في خطاباته موجهة للإنسان المستخلف، وهي بمثابة توجيه لاستكشاف العالم عن طريق التّفكير المنطقي، وهو بذلك يُشيد بدور العقل البشري ويحثه على الإيجابية وتحصيل العلم، الذي له قيمة في الدين والحياة(سيد قطب، ١٤٠٨هـ، ص ١٩)، وهو دائمًا يحث على التّفكر والتّأمل والنّظر وتحرير العقل الإنساني من التّبعية(عبد الحميد، ١٤١٢هـ، ص ٧٣).، وبما أنَّ العلوم العقلية تعود إلى مصدرين : الحسُ وتجارِبَهُ، ثم الفكرُ، أي العملياتِ الداخليةِ للعَقلِ(بلكا، ١٤٢٩هـ،ص ٣٩).، فخطاب القرآن للإنسان مواكب لطاقاته التي وهبها الله تعالى له، والعقل في القرآن يستعمل لبيان القدرة الروحية والذهنية للإنسان، والتي يتمكن من خلالها فهم المضامين العميقة التي نص عليها القرآن (ايزوتسو، ٢٠٠٧، ص١١٤).

كما إنَّ الآيات القرآنية لم تشهد تناقض مع العلوم الطبيعية، وإنّما تنسجم معها أشد انسجام بالمعنى الذي تستقيم به العقيدة، فلا يتعرض الفرد مع هذه الآيات إلى التناقض والظنون عبر اكتشافات جديدة تنقض ما أيقنه وتبناه فكره(العقاد، ٢٠٠٦م، ص ١١)، والمرتكز الفكري القرآني يدعو إلى اكتساب المعرفة بطريقة منهجية فالإنسان مزود بكل الآليات التي تؤهله للتّفكر والتدبر فالحواس والعقل من أهم أدوات الملاحظة والتجريب لتحصيل المعرفة، ومن ثم استخلاص القانون العام للظواهر موضع الملاحظة(فؤاد باشا، ١٤٠٤هـ، ص ٢٢- ٢٣)

ومن جانبٍ آخر فإنَّ الجانب التّعليمي وأهميته في الخطاب القرآني يتجلى بوضوح بأن أول خطاب نزل على نبينا الخاتم هو (اقرأ) والقلم في سورة واحدة وهي سورة العلق، قال تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ } (العلق، ١- ٥)، فقد ذكر الله تعالى القلم، وبين امتنانه على خلقه بأن

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (١) ملحق (١) آذار. لسنة ٢٠٢٦م -١٤٤٧هـ

علمهم ما لم يكونوا عالمين به إمّا عن طريق العلوم في قلوبهم من الضروريات أو بنصب الادلة لهم على الوصول اليها فيما لم يعلموه ضرورة، وذلك من أعظم نعم الله تعالى على خلقه، وفي ذلك دلالة على أنّهُ تعالى عالم؛ لأنَّ العلم لا يقع إلا من عالم، فمن قدرَ عَلى خلقِ الإنسانِ على ما هو عليه من الحياةَ وما فيها منَ الكمالاتِ العلميةِ والعمليةِ منْ مادةٍ لم تشمَّ رائحةَ الحياةِ فضلاً عن سائرِ الكمالاتِ، فهو قادرٌ على تعليمِ القراءةِ للحيِّ العالمِ المتكلمِ(أبي السعود، ٩٨٢ هـ، ج٩، ص١٧٧)، وتخصيص خلق الإنسان بالذكر دون سائر المخلوقات؛ لأنَّ الإنسان هو المختص بالقراءة والعلم، المنفرد بتبعية التكليف، المخاطب بكل ما سوف ينزل به الوحي من آيات الله' وفي سورة أخرى أقسم الله تعالى بالقلم : { ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ} (القلم، ١)، وعلى الإنسان أن يعي تمامًا أنَّ تحصيل العلم يجب أن ينطلق من أساس الإيمان بالله وتوحيده، فالله الواحد هو الذي أرسى النظام في الكون عن طريق السنن والقوانين، وهذه القوانين تمكن الإنسان من اكتشافها ومعرفتها عن طريق اتباع البحث العلمي، القائم على الاستدلال العقلي والملاحظة والتجربة(ملكاوي، ١٤٣٤هـ، ص ٦٩)،. وبهذا ألَّف القرآن الكريم بين العقل والواقع عبر حثّ الإنسان وتحضيضه على النظر والتّفكر في هذا الكون الفسيح.

والمُلاحظ أنَّ الخطاب القرآني لا يُقيد العلم بالجانب الشّرعي فقط، فله أهدافه البعيدة وهي إعداد إنسان للعمل والعبادة في نطاق الدّنيا أو الآخرة(زاهد، ١٤٤١هـ، ص ٢١٨)،. وبالإضافة إلى حث الخطابات القرآنية على التَّدبر والتَّفكر، فقد أشاد بالعلماء وبيَّن رفيع منزلتهم، قال تعالى:{ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}(آل عمران، ١٨)، وقال تعالى: { يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}(المجادلة،١١)،. أي (ويرفع الذين أوتوا العلم درجات عالية لجمعهم بين العلم والعمل) (الجزائري، ١٤٢٤هـ، ج٥، ص٢٩٢)، فهذه الدّرجات العالية والمنزلة الرّفيعة أشاد بها القرآن الكريم تحضيضًا منه لأن يسلم المسلم طريق العلم النافع المقرون بالعمل الصّالح، وإن اجتمع العلم بالإيمان فقد بلغ المؤمن حينها أعلى درجات العقيدة، لذا قال تعالى: { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ}(فاطر، ٢٨)، فخشية الله تعالى لا تكون إلا بالمعرفة،

والعلماء بلغوا كمال المعرفة، فكانت خشيتهم من الله تعالى على نحو الكمال(ابن عاشور، ١٩٨٤، ج١، ص ٤٧١٣)، لذا فإن الأساس في بناء هذه الشخصية المسلمة المعتدلة، وذلك المجتمع المثالي هو الجانب العقائدي؛ لأنّ ترسيخ العقيدة في النّفس الإنسانية كفيل بأن يوظف الموارد بشتى أنواعها على الوجه الأمثل(زاهد، ١٤٤١هـ، ص ١٣٣).

المطلب الثاني: المرتكز الأخلاقي

في المنظور القرآني لا يكون التعليم فعالًا ما لم يسير جنبًا إلى جنب مع الأخلاق، وهذه القضية تظهر أيضًا جلية في خطابات القرآن الكريم، فالبعد المقاصدي في الخطاب القرآني ينطلق من حقيقة يلمسها كل من تدبر في تلك الخطابات ألا وهي العالمية الإسلامية التي تركز على قضية محورية وهي عدم إلغاء الآخر، وإنّما التّدافع والتّسابق في ظل التّعددية الحضارية والتّنوع الثّقافي، وأولى مقاصد القرآن في خطاباته هو تنمية الجانب الأخلاقي عند البشرية؛ لأنَّ التّعامل الأخلاقي يتداخل في كل غالب جوانب حياة الإنسان الاجتماعية –إن لم يكن جميعها– فالاختلاف الفكري والثقافي بين الشّعوب أمر حتمي يترتب عليه اختلاف توجهات الأفراد وتطلعاتهم لذا لم يجعل القرآن الكريم هذه القضية حاجزًا يحول دون تفاعل الأمم وتلاقحها الفكري نلمسه جليًا في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}(الحجرات، ١٣)، فالقرآن الكريم يُلغي كل الامتيازات المادية والظاهرية، ويعطي الأهمية لقضية جوهرية ألا وهي التقوى تلك الصفة الرّوحانية المستقرة في القلب والروح(الشيرازي، ١٤٢٦هـ، ج١٦، ص ٥٦١) والتقوى هي أشبه بالضابط، (وكل ضابط معناه القدرة على الامتناع ورد النفس عن بعض ما تشاء، وليس معناه القدرة على العمل فحسب، ولا المضي مع النفس في كل ما تشاء) (العقاد، ٢٠٠٦، ص٢٢).

إن هذه النظرة عن مفهوم التقوى نجدها قد تكررت في عشرات من الآيات القرآنية، فاعتبرها محور الكمالات الإنسانية ومعيارًا للفضائل، فهي في نظر القرآن الكريم، بالإضافة إلى امتثال الأمور التشريعية، تعدُّ ذلك الجهد المحمود الحاصل من الفرد في جميع نشاطاته وعلاقاته مع نفسه، ومع ربه، ومع جميع الناس(السبزواري، ١٤٣٢هـ، ص ٢١-٢٢).

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (١) ملحق (١) آذار. لسنة ٢٠٢٦م -١٤٤٧هـ

إنَّ الإعلانات العالمية المعنية بحقوق الإنسان نصّت على المساواة بين جميع النّاس في الحقوق كحق الحياة الكريمة، وحق التّعلم وغيرها*.

لقد أسَّس القرآن الكريم أول عالمية دينية، وذلك بوصف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خاتمًا للأنبياء ورحمة للعالمين، وكذلك بوصف القرآن الكريم خاتمًا للكتب السماوية ومهيمنًا عليها(الغزالي، ٢٠٠٥، ص ٧، من المقدمة)، وكلُّ ما جاء به القرآن الكريم متسق تمام الاتساق مع الجوانب الفكرية والنّفسية والرّوحية والمادية للإنسان(الميداني، ١٤٢٠ هـ، ج١، ص٥٠٢)، والتي تفي باحتياج البشرية في الجانب التعليمي.

المطلب الثّالث: المرتكز العملي

لقد خلق الله تعالى هذا العالم لحكمة ثابتة يقتضيها ثبوت كماله الإلهي الذي يناهض كل ضروب العبثية، فإذا قابلنا بين قوله تعالى: { وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}(الجاثية، ١٣) بقوله تعالى: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ}(الأنبياء، ١٦)، فيظهر جليا كمالِ تنزّهه تعالى عن الخَلْق الخالي عن الحِكمة – سبحانه– بل إنما خلقاهما وما بينهما لتكون مبدأً لوجود الإنسان وسبباً لمعاشه ودليلاً يقودُه إلى تحصيل معرفتِه التي هي الغايةُ القصوى بواسطةِ طاعتِه وعبادته(أبي السعود، ٩٨٢ هـ، ج٦، ص٥٩)، وأولى مصاديق الطاعة القيام بمهام الاستخلاف؛ لأن الله كرم الإنسان وجعله خليفة الأرض فلا بد وأن يكون لهذا التسخير ثمرات، وأولها أن يقوم الإنسان بمهامه الاستخلافية على أتم وجه من خلال اغتنام هذه النعم المسخرة لأجله، والقيام بهذه المهام لا بُدّ وإن يكون من منطلق علمي وأخلاقي.

إنَّ الإنسان هو ابن الطَّبيعة وهو ابنُ الأرض، وهو السَّيد والمستخلف فيها في الوقت نفسه، والقرآن لا يرفض المبدأ القائل أن الإنسان ابن الأرض فوجود النفس فيه لا يخرجه عن بنوته لها(العلواني، ٢٠١٠، ص ٧٣)، قال تعالى: {مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً

المادة ١و٢ من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر سنة ١٩٤٨، المادة٣ من العهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الصادر سنة ١٩٦٦م.

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (١) ملحق (١) آذار. لسنة ٢٠٢٦م -١٤٤٧هـ

أُخْرَى}(طه، ٥٥) فالله تعالى الذي خلقه من هذه الأرض، هي نفس الأرض التي سخرها وذللها له، وليعلم من خلال ذلك قدرة الله تعالى ورحمته وعلمه المطلق بالإنسان(الكيلاني، ١٤٠٤هـ، ص١١٦).

فمن مسلمات منهج القرآن أن الإنسان يتأثر بالطبيعة ويؤثر فيها، والجدل قائم بين الإنسان والطبيعة ودائم مستمر، وما من أحد نظم ذلك الجدل، ومنحه صفة الإيجابية مثل القرآن، وهذا لا يعني إلغاء لإنسانية الإنسان أو مهمته الاستخلافية في الكون أو إلحاقا له بالجماد والحيوان، بل امتن عليهم بأن أرسل رسلا وأنبياء واستخلفهم في الأرض التي منها خلقوا وجبلوا وإليها يعودون(العلواني، ٢٠١٠، ص٧٧).

فإذا تبين لنا أنَّ الإنسان ابن الطبيعة، وهذه الطبيعة مسخرة له بأمر الله، نصل لنتيجة أن التسخير يجعل الإنسان مستأمن من قبل الله تعالى على مصادر الثروة في الكون، ومسؤولا عن تدبير شأنها والحفاظ عليها (الصدر، ١٤٠٣هـ، ص ٣٠)، مع الالتفات أن كل هذه الثروات ملك لله تعالى، وبذلك يكون الإنسان المستخلف (عبد وسيد في آن واحد، عبد لمن استخلفه وسيد على من هو مستخلَف عليه) (دسوقي، بلا تاريخ، ص ١٣)، لذا فإن ما في الأرض من ثروات هي مادة استأمنها الله تعالى لدى الإنسان، وهي في الوقت ذاته وسيلة لبلوغ مبدأ الاستخلاف (الكيلاني، ٢٠١٤، ص ٤١٥).

ووفق رؤيا المنهج القرآني يمكن أن نعد الاستخلاف مشروعًا إلهيًا ينهضُ بمهامه الخليفة، وهو الإنسان، لكن هذا الاستخلاف لا يتولى مهامه الإنسان ما لم يسبقه الإيمان المقرون بالعمل الصالح، قال تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ }(النور، ٥٥)، أي المؤمنون الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح هم المستخلفون والممكنون في الأرض(الرازي، ١٤٢٠هـ، ج٢٤، ص٤١٢).

إنَّ الاختيار الإلهي للإنسان بأن يكون خليفة، وسجود الملائكة له، وتكريمه على سائر المخلوقات تملي عليه أن يُحقق أهليته لهذه النعم، بأن ينهض بالمشروع الإلهي الاستخلافي الذي

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (١) ملحق (١) آذار. لسنة ٢٠٢٦م -١٤٤٧هـ

أوكل له دون سائر المخلوقات، وذلك لا يكون إلا من خلال اتباع الحق،واتباع الحق (سيحدد خليفة الله من عدمه، أي أن الإنسان سيكون خليفة الله على قدر قربه وبعده من الخط البياني لتمثيل الله تعالى من المناخ الإيماني والسلوكي) (الكيلاني، ٢٠١٤، ص ٤١٢).

فالإنسان خليفة الله في أرضه يملكها ويتصرف فيها(الزمخشري، ١٤٠٧هـ، ج٢، ص٨٤)، (والخلافة الإلهية للإنسان ليست مقتصرة على نبي الله آدم عليه السلام، بل كل النوع البشري، دون تمييز مبني على أساس اللون أو العرق أو الوضع الاجتماعي) (السلمان، ١٤٢٨هـ، ص ٤٩)؛ لأن الخطاب القرآني خطاب عالمي للناس أجمع، ولا يختص بفئة دون أخرى.

لما كان الإنسان هو خليفة الله في أرضه، وأن المشروع الاستخلافي قد أوكل إليه، فإن هذا المشروع يتطلب القيام بعدة مهام من قبل المستخلف، سيعرضها البحث وفق ما حددته خطابات القرآن الكريم للإنسان، وهي :-

أولًا :- عمران الأرض ودرء الفساد

القيّم على هذه المهمة هو الإنسان، وعمارة الأرض ذكرها القرآن في آيتين،الأولى قوله تعالى: { أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}(الروم، ٩)

وهذا خطاب توبيخي موجه للكفار من أهل مكة حيث يبين القرآن (أَنَّهُمْ قَدْ سَارُوا وَشَاهَدُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ طَوَائِفِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ بِاللَّهِ، وَجُحُودِهِمْ لِلْحَقِّ، وَتَكْذِيبِهِمْ لِلرُّسُلِ) (الشوكاني، ١٤١٤ هـ، ج ٤، ص٢٤٨)، وكانوا ذي أعمار طويلة فعمروا الأرض بالحرث والزراعة، أو حفر الآبار، أو جميع هذه الأمور؛ لأن(أثاروا الأرض) لها مفهوم واسع يشمل كل هذه الأمور وهي مقدمة للعمارة والبناء(الشيرازي، ١٤٢٦هـ، ج١٢، ص٤٧٩).

فلما ظلموا نفسهم بكفرهم وصدهم عن سبيل الحق أهلكوا ولم يغن عنهم ما وصلوا إليه من عمارة للأرض والرقي الذي وصلوا إليه(مغنية، بلا تاريخ،ج٦، ص١٣٢).

إنَّ ما تبينه الآية الكريمة أن لا معنى لمفهوم للعمران إذا لم يكن أساسه الإيمان وتوحيد الله ﷻ، والآية الأخرى، قال تعالى: { هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا}(هود، ٦١)،أي جعلكم عمارها وسكانها فهو من العمران للأرض(القرطبي، ١٣٨٤هـ، ج٩، ص٥٦) (ابن جزي، ١٤١٦ هـ، ج١، ص٣٤٧)، وقيل هي من طول العمر، فالمعنى : (جعلها لكم ما عشتم) (الخازن، ١٤١٥هـ، ج٢، ص٤٩١).

ويمكن أن نعد المعنى واحدًا إذا اعتبرنا أن العُمُر هو الحياة التي يريدها الله تعالى للإنسان حين يستجيب الإنسان لما يدعوه الله قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}(الأنفال، ٢٤) لذا فإن القرآن الكريم يدعو للإصلاح في الأرض وعدم الافساد. قال تعالى: { وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا}(الأنفال، ٥٦)، فالآية تنهي عن الفساد بأي وجه من الوجوه، والفساد معنى واسع يشمل قتل النفس، أو التخريب في الأرض، فأي نوع من المعاصي هو بمثابة الإفساد في الأرض(الشوكاني، ١٤١٤ هـ، ج٢، ص٢٤٣).

وقد يحدث الفساد من خلال ظلم بعض أفراد المجتمع للبعض الآخر(الصدر، ١٤٠٣هـ، ص ٣٢)، وذلك من خلال تولي بعض الأشخاص غير الأكفاء مسؤولية استخلاف الجماعة، فيحصل هدر وافساد وظلم في توزيع الثروات، وعليه فإن المجتمع مسؤول أمام الله عن اختيار من يتولى شؤونهم، فالمفسد إذا تولى أفسد، ووقوع الفساد يعني هدر واستنزاف للثروات المسخرة للإنسان، واستنزافها في غير محلها، قال تعالى: { وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ}(البقرة، ٢٠٥)، فالمعنى و إذا تمكن الشخص غير المؤهل لتولي شؤون المسلمين أو أوتي سلطانًا و تولى أمر الناس سعى في الأرض ليفسد

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (١) ملحق (١) آذار. لسنة ٢٠٢٦م -١٤٤٧هـ

فيها(الطباطبائي، ١٩٩٧م، ج٢، ص٩٧)، والآية وإن نزلت في شخص معين* (الواحدي، ١٤١٢هـ، ج١، ص٦٥) إلا أن هذا لا يمنع أن تكون مصاديقها عامة في حق كل من كان موصوفا بهذه الصفات.

إنَّ ما يحدث هذا اليوم في بعض البلاد الإسلامية من تردي لأوضاع، وتخلف عن الركب الحضاري، هو لسوء اختيار الجماعة لمن يمثلهم، فعمَّ الفساد في كافة مفاصل المجتمع، وأُستهلكت الثروات في غير محلها، لذا فإن من مسؤولية الجماعة المسلمة أن تختار الأكفاء القادرين على إدارة شؤون المسلمين وفق مبادي وقوانين يراعي فيها المسؤول رعيته، وينظر لعظيم ما تولاه من أمرهم.

وأخيرًا فإن ميادين الإعمار وفق منهج القرآن الكريم تشمل كل ما تتمكن منه آليات اتصال الإنسان بالعالم (السمع، والبصر، والعقل)، والعمل على البحث وعدم تبديد الطاقات فيما لا طائل تحته(الكيلاني، ١٤٠٧هـ، ص١١٩)، وما يتصل به الإنسان هو كل شيء يمكن إدراكه في عالم الشهادة فعلى ذلك يشمل الإعمار كل ما في السماء والأرض والبحر مما يتسنى للإنسان التعامل معه، وكل ما يحصل عليه الإنسان من محيطه عبر حواسه هو تعلم، وسير نحو تحقيق أهداف معينة، فدرء الفساد كذلك يشمل كل ما يقع تحت تمكنه ويمكنه التصرف فيه، قال تعالى: { ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}(الروم،٤١)

والمراد بالفساد الظاهر المصائب و البلايا الظاهرة فيهما الشاملة لمنطقة من مناطق الأرض من الزلازل و قطع الأمطار و السنين و الأمراض السارية و الحروب و الغارات و ارتفاع الأمن و بالجملة كل ما يفسد النظام الصالح الجاري في العالم الأرضي سواء كان مستندا إلى

* نَزَلَتْ فِي الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيقٍ الثَّقَفِيِّ، وَهُوَ حَلِيفُ بَنِي زُهْرَةَ أَقْبَلَ إِلَى النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إِلَى الْمَدِينَةِ، فَأَظْهَرَ لَهُ الْإِسْلَامَ وَأَعْجَبَ النَّبِيَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ذَلِكَ مِنْهُ، وَقَالَ: إِنَّمَا جِئْتُ أُرِيدُ الْإِسْلَامَ، وَاللَّهُ يعلم إني صادق، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَمَرَّ بِزَرْعٍ لِقَوْمٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَحُمُرٍ فَأَحْرَقَ الزَّرْعَ وَعَقَرَ الْحُمُرَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ الآية ، يُنظر / أسباب النزول

اختيار الناس أو غير مستند إليه والآية بظاهر لفظها عامة لا تختص بزمان دون زمان أو بمكان أو بواقعة خاصة، فالمراد بالبر و البحر معناهما المعروف و يستوعبان سطح الكرة الأرضية فكل ذلك فساد ظاهر في البر أو البحر مخل بطيب العيش الإنساني(الطباطبائي، ١٩٩٧، ج١٦، ص٢٠١).

ومن أوسع مظاهره هو ما خلفته التكنلوجيا والتطور من دمار على النظام البيئي، حيث أن الاستهلاك غير المتوازن لموارد البيئة أدى إلى حدوث خلل ظهرت آثاره في البر والبحر، ومثاله ما تقوم به بعض المجتمعات من دفن الفضلات النووية والمشعة في البر والبحر، وكذلك ما تنفثه المصانع والآلات من الملوثات في الجو، وهذا كله من مظاهر الفساد، والإخلال بوظيفة الاستخلاف التي توجب العمارة في الأرض ودرء الفساد(ملكاوي، ١٤٣٤هـ، ص١٤٠)، فإنّ كان المسلم يتلقى منهجه التعليمي وفق رؤيا قرآنية فإنّ مسيرة الإعمار والإصلاح في هذه المعمورة ستنال بحظوة واسعة وستُستغل الثروات على الوجه الأمثل.

إنَّ الإنسان ما هو إلا آية من آيات الله في خلقه، وتتجلى فيه حكمة الله تعالى، وكمال قدرته في خلق هذا المخلوق من تراب الأرض، ثم جعل منه بشرًا سويًا، يقوم على خلافة الله تعالى في هذه الأرض ليعمرها من خلال تفعيل ما منَّ الله تعالى به عليه من قوى عاقلة مدركة مدبرة، وعين الخلق كلها ناظرة إليه، وهو يقوم بأمر هذه الخلافة(خضر، ١٤٠٣هـ، ص٥٧)، لذا فإن من موجبات الخلافة هو الإعمار والإصلاح ودرء الفساد ولا يمكن أن يتحقق ذلك دون جدية صائبة في البحث والتطبيق وبذل الطاقات العقلية والجسدية، قال تعالى: { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}(العنكبوت، ٦٩) (الكيلاني، ١٤٠٧هـ، ص١٢٧)

والجهاد مفهوم واسع يدخل فيه جهاد النفس أو الجهاد في سبيل الله أو الجهاد في سبيل العلم والثقافة، فكل عمل ينتهي إلى مرضاة الله فهو جهاد(الشيرازي، ١٤٢٦هـ، ج١٢، ص٤٥٦)، لذا فإن الإعمار ودرء الفساد هو أحد مصاديق الجهاد، وإذا ما تم على الوجه الذي يرضي الله تعالى، فجزائه الهداية التي لا خسران ولا ضلال معها أبدا.

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (١) ملحق (١) آذار. لسنة ٢٠٢٦م -١٤٤٧هـ

ثانيًا :- الإنفاق في سبيل الله

الإنفاق مفهوم واسع ويُبذل في جوانب متعددة إلى أن أولها وأهمها في بناء علاقة الإنسان بالعالم هو الإنفاق في سبيل الله تعالى، وقد يُعبر عنه القرآن الكريم بلفظ(القرض)، قال تعالى: { مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}(البقرة، ٢٤٥)، وإنما سماه الله تعالى قرضًا؛ لأن معناه إعطاء الرجل غيره ماله مملكًا له، ليقضيه مثله إذا اقتضاه. فلما كان إعطاء من أعطى أهل الحاجة والفاقة في سبيل الله، إنما يعطيهم ابتغاء ما وعده الله عليه من جزيل الثواب عنده يوم القيامة، وجعله تعالى "حسنا"؛ لأن المعطي يعطي ذلك عن ندب الله إياه وحثه له عليه، احتسابا منه، فهو لله طاعة(الطبري، ١٤٢٠ هـ، ج٥، ص٢٨٢).

فمن مهام المستخلف هو الإنفاق، قال تعالى: { آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ}(الحديد، ٧)، فقوله تعالى: { مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ} (دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَصْلَ الملك لِلَّهِ سُبْحَانَهُ، وَأَنَّ العَبد ليسَ لَهُ فِيهِ إِلَّا التَّصَرُّفُ الَّذِي يُرضِي الله (القرطبي، ١٣٨٤هـ، ج١٧، ص٢٣٨) يعني الإنفاق في سبيل الله وطاعته) (ابن جزي، ١٤١٦ هـ، ج ٢، ص٣٤٣)، فالله تعالى جعل الإنسان خليفة في التصرف من غير أن يملك للثروات حقيقة، فعليه أن يبذلها في رضا الله وطاعته، فهو مؤتمن عليها(الشوكاني، ١٤١٤ هـ، ج٥، ص٢٠٠)، وهو(أمر مؤكد بالإنفاق في سبيل الله) (الطباطبائي، ١٩٩٧، ج١٩، ص١٥٧)، كما أن التعبير ب(ممّا) تعبير عام ولا يشمل الأموال فحسب، وإنما يشمل كافة الممتلكات والهبات الإلهيّة وهذا يعني أنّ للإنفاق مفهوماً واسعاً ولا ينحصر بالمال فقط، بل يشمل أيضاً العلم والهداية والسمعة الاجتماعية ورؤوس الأموال المعنوية والمادية(الشيرازي، ١٤٢٦هـ، ج١٨، ص ٢٧).

والقرآن الكريم يعطي للإنفاق المادي حيزا أكبر بدلالة كثير من الآيات، كقوله تعالى: { وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}(التوبة، ٣٤)، الآية تشمل كل من يكنز الذهب والفضة ولا ينفقها في سبيل الله عملًا بعموم اللفظ، ولفظ الذهب

والفضة خاص، لكن الحكم عام يشمل المال بشتى أصنافه كالأرض والمعادن والشجر والماشية والمعامل والمراكب، كما أن الإنفاق في سبيل الله يشمل الجهاد دفاعا عن الدِّين والوطن، وبناء المدارس ودور الأيتام، والإنفاق على الأهل، إلا أن أفضل موارد الإنفاق ما فيه إعزاز الحق وأهله(مغنية، بلا تاريخ، ص٣٦).

إنَّ مفهوم الإنفاق في ضوء آيات القرآن الكريم له غايات عظيمة تتعلق أساسا بالإنسان المستخلف، سيما إذا تتبعنا الآيات التي تتحدث عن الإنسان في هذا الجانب، فقد ذكر القرآن أنه محب للمال قال تعالى: {وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا }(الفجر، ٢٠)، (أي كثيرًا والمعنى يحبون جمع المال، ويولعون به، وبحبه) (الخازن، ١٤١٥هـ، ج٤، ص٤٢٧) والله تعالى يوطن الإنسان على قضية أخرى وهي تعويده على البذل والعطاء، وتقديم العون إلى أقصى حد، دون أن يكون هناك دافع منفعة، فغايته رضى الله تعالى، إن ما يمليه منهج القرآن الكريم على المُستَخلَف، هو أن يجرد نفسه من كل صفة تحول بينه وبين مسيرته الاستخلافية، وأن يوطن نفسه على الإنفاق في سبيل الله تعالى فالمال لله وهو مستخلف عليه، والأنسان بل الأمة ككل هي مسؤولة أمام الله تعالى عن حفظ الثروات وعن كيفية انفاقها في موضع يعود بالفائدة على المجتمع أجمع، وكذلك العدل في توزيع الثروات وتنميتها ورعايتها ببذل مجمل طاقاتها في استثمار الكون وإعمار الأرض(الصدر، ١٤٠٣هـ، ص ٣٢)، وما إن سار الإنسان وفق نهج رباني فإن الله تعالى سيُمكن له في الأرض.

والتمكين ورد في القرآن الكريم، وبسياقات متعددة، ومفهوم التمكين يعني (أن يشرع الإنسان عمليًا بتكاليف الاستخلاف من خلال بسط اليد على ما مكنه الله تعالى من تسخير ما في الكون) (الكمالي، ٢٠١٤، ص٤٢٥)، وهو حيث النوع، يقسم على قسمين : مادي، ومعنوي(زمرد، ١٢،٣،٢٠١٠م مقال منشور)، أما المادي، وهو التمكين في الشيء، أي الأرض نجده في مثل قوله تعالى: {وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ}(الأعراف، ١٠) (أيْ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ قَرَارًا وَمِهَادًا، وَهَيَّأْنَا لَكُمْ فِيهَا أَسْبَابَ الْمَعِيشَةِ) (القرطبي، ١٣٨٤هـ، ج٧، ص١٦٧)، أما النوع الآخر للتمكين، فهو :التمكين المعنوي، أي

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (١) ملحق (١) آذار. لسنة ٢٠٢٦م -١٤٤٧هـ

تمكين الشيء، ونجده في مثل قوله تعالى: { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ}(النور، ٥٥)، الشاهد في الآية قوله :(وليمكنن لهم دينهم)،أي (وأنَّ يمكن الدين المرتضى وهو دين الإسلام. وتمكينه: تثبيته وتوطيده) (الزمخشري، ١٤٠٧هـ، ج ٣، ص٢٥١)، وهنا يتبين لنا أن الوعد الإلهي بالإستخلاف، والتمكين لا يتم إلا بالإيمان وعمل الصالحات من الأعمال، وترى الباحثة أن الاستخلاف يختلف عن التمكين، فالتمكين يعقب الاستخلاف، والدليل على ذلك هو :-

أولًا:- عطف التمكين على الاستخلاف، فالتمكين وإن كان يعقب الاستخلاف، إلا أن إقراره يتوقف على عمل المستخلف في الأرض المسخرة له خيرا أو شرًا، وهو- الاستخلاف- عام للإنسان المؤمن والفاسق، الحر والعبد، الغني، والفقير فهو جعل إلهي لا خيار للإنسان فيه.

ثانيًا:- إنَّ التباين بين مفهومي الاستخلاف والتمكين يظهر جليًا في قصة نبي الله يوسف -على نبينا وعليه أفضل الصلاة والتسليم-، وقصة ذو القرنين، قال تعالى في سورة يوسف: { وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ}(يوسف، ٥٦- ٥٧)

هاتان الآيتان تبين ما آل إليه حال يوسف (عليه السلام)، والإشارة بقوله: {كذلك} إلى ما ساقه من القصة بما انتهى إلى نيله (عليه السلام) عزة مصر، فغير الله تعالى حاله من الإلقاء بالجب وبيعه للسيارة لإذلاله إلى إكرامه في بيت العزيز، ومن مكائد امرأة العزيز لتورده مورد الفجور إلى بيان عصمته، ومن توعدها له بالسجن لصغاره، إلى تمكينه في الأرض فصار مطلق المشيئة يتبوأ أي بقعة يشاء منها، فإذا قابلنا هاتان الآيتان مع قوله تعالى : { وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}(يوسف، ٢١)، أي أن الله سبحانه إذا شاء أن يصيب برحمته أحدا لم يغلب في مشيته و لا يكون بمتسع أي مانع أن يمنع من إصابته(الطباطبائي، ١٩٩٧، ج١١، ص٢٠٥).

وبذلك يتضح أن الله سبحانه وتعالى ينزل رحمته وبركاته ونعمه المادية والمعنوية على من يشاء من عباده الذين يراهم أهلا لذلك (نصيب برحمتنا من نشاء)، وأن هذا الجزاء وهذه الرحمة للمحسنين من عباده، والجزاء لا يقتصر على دار الدنيا بل يجازي المتقين والمحسنين بأحسن من ذلك في الآخرة(الشيرازي، ١٤٢٦هـ، ج٧، ص ٢٣٨).

يبقى أن يعرج البحث على قضية مهمة قد تكون محط جدل بين الكثيرين، وهي إذا كان التمكين وعد إلهي للذين آمنوا وعملوا الصالحات، فكيف بالأمم الكافرة أمثال فرعون وغيره، وكذلك بعض الدول في زماننا الحالي مثل روسيا وأمريكا وغيرهم ؟ ألم يصلوا إلى ما وصلوه من الرقي والتمكن في الأرض؟

لقد ذكر القرآن الكريم هذه الفئات المنحرفة عن التوحيد، لكن تعبيره لم يأت بمصطلح التمكين، وإنما بمفهوم يدل على عدم الاستقرار والتمكن، وهو التقلب، قال تعالى: { مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ}(غافر، ٤) فلا يَنْبَغِي أَنْ يَغُرَّكَ تَصَرُّف أحوالهم عَلَى حَسَبِ الْمَشِيئَةِ فِي الْحُرُوبِ وَالتِّجَارَاتِ(ابن عاشور، ١٩٨٤، ج١٦، ص٢٣)، فهذه النّجاحات المادية التي يحرزها المشركون، وهذه الثروات الهائلة التي يحصلون عليها من كل سبيل ليست سوى متاع قليل، ولذّة عابرةً(الشيرازي، ١٤٢٦هـ، ج٣، ص٥٩-٦٠).

إنَّ القرآن الكريم يكشف لنا عواقب الأمور، فما يحرزه المنحرفون من تقدم في كافة المجالات وصفه القرآن بأنه تقلب، أي زائل ؛لأنه لم يؤسس على تقوى الله وتوحيده.

فقد تحدث القرآن الكريم عن الاقتصاد، ووضع ضوابط له من خلال حثه على العمل وعمارة الأرض وتسخير خيراتها لصالحه فالاقتصاد في المنظور القرآني(يستند على اطار أخلاقي وإنساني متين من القيم والمبادئ والأخلاق التي تنظم الحياة الاجتماعية الاقتصادية أمثل تنظيم) (الخالدي، ١٤٣٣هـ، ص ٢٨٦) فالقرآن الكريم (يسعى إلى التوفيق الدائم بين أهداف الحياة وضروريات المجتمع ونوازع الفرد، دون أن يطغى هدف على هدف، ولا مصلحة على مصلحة، وإنَّما يسير الكل في توافق واتساق، يحقق- حين يتم- أقصى ما يمكن من السعادة على ظهر الأرض) (سيد قطب، ١٤٠٨هـ، ص ٧٠).

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (١) ملحق (١) آذار. لسنة ٢٠٢٦م -١٤٤٧هـ

إنَّ المنظور القرآني للتربية المستدامة يرفع من شأن الإنسان ويضعه موضع التّكريم، لا سيما وأنّ الله تعالى وضع الإنسان موضع التّكريم، قال تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا}(الإسراء، ٧٠)، (وإنما فضلهم ابتداء بأن خلق لهم من فنون النعم وضروب الملاذ مالم يجعله لشئ من الحيوان)، (أي فضلناهم بالنطق والعقل والعلم واعتدال الخلق) (الجزائري، ١٤٢٤هـ، ج٣، ص ٢١٤)، (بخلقهم على أحسن صورة وهيئة) (الزحيلي، ١٤١٨، ج١٥، ص ١٢٨)، وقال تعالى:{وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}(الجاثية، ١٣)، (يعني أنه تعالى خلقها ومنافعها فهي مسخرة لنا من حيث إنا ننتفع بها) (الخازن، ١٤١٥هـ، ج٦، ص ١٥١)

إنّ جملة ما يقره القرآن الكريم عن هذا الكون العظيم أنّه مسخر للإنسان على الوجه الأمثل، يفيد منه الإنسان بمقدار ما يتأمل ويستبطن ظواهره، وينطلق في آفاقه، ولعل كلمة التسخير من أقوى التّعابير للدلالة على الخدمة المستقرة الدائبة، وعلى أنّ الإنسان يفيد منه ويسخره لصلاحه في المعاش الدنيوي والمعاد الآخروي (قنيبي، ١٤٠٠هـ، ص ٦).

المبحث الثاني: أساليب التنمية التعليمية الفعالة في ضوء الخطاب القرآني

للقرآن الكريم أسلوبه الخاص، وطريقته المميزة في تحقيق المقاصد، ويمكن للبحث أن يُشير إلى بعض تلك الأساليب في مجال تحقيق التّعلم الفعال، ومن تلك الأساليب:

المطلب الأول: القدوة الحسنة

أشار القرآن الكريم إلى الأسوة الحسنة في ثلاثة مواضع، الأول أراد به الرسول الخاتم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو قوله: { قَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}(الأحزاب، ٢١) ففي الآية (دلالة على فضل الاقتداء بالنبي صلى الله عليه – وآله– وسلم وأنّه الأسوة الحسنة لا محالة) (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج ٢١، ص ٢٢٣)، والآخر أراد به نبي الله إبراهيم (عليه السّلام)، في موضعين، قال تعالى: { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (١) ملحق (١) آذار. لسنة ٢٠٢٦م -١٤٤٧هـ

بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ}(الممتحنة، ٤)، وقوله تعالى: { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}(الممتحنة، ٦)، (أي اقتداء حسن، في جميع ما يقوله ويفعله متى فعلتم مثله كان ذلك حسنا)، والإشارة بالأسوة الحسنة في هذه الآيات تحضيض على الاقتداء بكل ما يحمله الأنبياء المخصوصين بالذكر من صفات حسنة.

وممّا ذكره القرآن الكريم قصة ذو القرنين وسياق الآيات يكشف لنا أنّه كان فعّالًا للخيرات والدليل على ذلك أنّ القوم الذي مر عليهم طلبوا منه أن يخلصهم من الفساد، قال تعالى: { قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا}(الكهف، ٩٤- ٩٧)، فحين طلب القوم منه أن يخلصهم من يأجوج ومأجوج مقابل نفع مادي استغنى ذو القرنين عن العرض الذي قدموه له، وأجابهم: (ما مكنني فيه و أقرني عليه ربي من السعة و القدرة خير من المال الذي تعدونني به فلا حاجة لي إليه) (الطباطبائي، ١٩٩٧، ج١٣، ص ٣٥٩)، والآيات تكشف لنا عن تمكين الله تعالى لذي القرنين، قال تعالى: { إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا}(الكهف، ٨٤)، فالله تعالى آتاه من كل شيء يوصله إلى المقاصد الهامة من عقل وعلم ودين وقوة جسم و كثرة مال وجند وسعة الملك وغير ذلك، وقد حكى الله تعالى عن سيرته المملوءة حكمة وقدرة، فكان اتيانه الأسباب فضل منه تعالى على ذي القرنين وإعظام لأمره بأبلغ بيان(الطباطبائي، ١٩٩٧، ج١٣، ص٣٥٥)، وهذه السياقات تُبيّن قضية مهمة وهي أنّ العمل الصالح والسيرة الحسنة هي المؤهلة لوراثة الأرض، وللتمكين، فشتان بين من يقترف السيئات، وبين المؤمن الذي يعمل الصالحات، قال تعالى: { أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ}(الجاثية، ٢١)، فمن المحال (أن يستوي المسيؤون والمحسنون) (الزمخشري، ١٤٠٧هـ، ج٤، ص٢٩٠)، فالذين آمنوا

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (١) ملحق (١) آذار. لسنة ٢٠٢٦م -١٤٤٧هـ

وعملوا الصالحات هم الوارثون للأرض في الحياة الدنيا، قال تعالى: { وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ}(الأنبياء، ١٠٥)، وهم الوارثين للجنة في الآخرة؛ لذا فإن التمكين مرحلة تعقب الاستخلاف فليس كل مستخلف له أن يتمكن في الأرض أو يرثها، فمرحلة الاستخلاف هي مرحلة كاشفة عن أهلية المستخلَف لبلوغ مرحلة التمكين الي يعني (تَمْثِيلٌ لِقُوَّةِ التَّصَرُّفِ بِحَيْثُ لَا يُزَعْزِعُ قُوَّتَهُ أَحَدٌ) (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج ١٦، ص٢٣)، هذه المرحلة التي يصل بها الإنسان بتأييد الله إلى بسط سلطته وقوته ونفوذه على ما استخلفه الله فيه، فلا يدع للظلم والجور والفساد مكانا؛ لأنه أخلص لله فمكنه وهيأ له الأسباب ليكون سيدًا مكينا في هذه المعمورة، كما أن الاستخلاف هي مرحلة كاشفة عن العلاقة التي بناها الإنسان بالعالم، وطبيعة هذه العلاقة تظهر جلية في سلوكياته، التي تكشف عن استحقاقه للتمكين أو خلاف ذلك، وفي القرآن الكريم العديد من الآيات التي تهدف إلى بيان سُنة الله تعالى في خلقه، وهي أنّ البقاء للعمل الصالح، والسلوك القويم، والقول الحسن، فالأسوة الحسنة هي أحد الأساليب التربوية التي وظفها القرآن الكريم في خطاباته، لتحقيق تعلم فعّال، فالإنسان بفطرته ينزع للكمال وتحقيق الأفضل، والقدوة الحسنة في المجتمع هي الركيزة المتينة، وعامل التغيير والتّحول الفعّال.

والقرآن الكريم يؤسس للنموذج الناجح، أي أن يتَّخذ الإنسان من الأشخاص الناجحين قدوة له في كل ما يفعله(الفقي، ١٤٢٨هـ، ص٢٢)، فوضع الأنموذج الفعّال أمام الإنسان وحثه على الاقتداء به، كما بين الاستراتيجيات والصفات التي اتصف بها رسولنا الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى صار هو القدوة الحسنة التي يجب على المسلمين أن يقتدوا بها، ومن صفاته التي ذكرها القرآن الكريم الخلق العظيم، قال تعالى: { وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}، أي أدب عظيم حيث أدبه ربه فكيف لا يكون أكمل الخلق أدباً وسيرتًا"(الجزائري، ١٤٢٤هـ،ج٥، ص٤٠٧)

المطلب الثاني: القصص القرآني

من أساليب القرآن الكريم التربوية الفعّالة هو القصص القرآني الذي يُعد وسيلة تعليمية تربوية لبناء إنسان يحمل قيم إنسانية مثالية مُستمدة من القيم السامية للقرآن الكريم، وقد كان للقصص القرآني الحظوة الواسعة في سوره المباركة على تنوع في الغايات والأسلوب والطول

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (١) ملحق (١) آذار. لسنة ٢٠٢٦م -١٤٤٧هـ

والقصر، بحسب ما يتطلبه الموقف، والقرآن الكريم يذكر الأنبياء (عليهم السلام) بحسب الدواعي والضرورة؛ لأن غاياته تتمحور حول افضاء المفاهيم البنائية للدين الإلهي.

وتُبين قصص الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم طريقة التربية والتّعامل الأخلاقي الذي سلكوه في دعواتهم الرسالية، وهذه القصص فيها من الدروس التعليمية ما يؤثر في النفس الإنسانية ويزرع فيها روح التسامي والسعي لتحقيق الكمالات الأخلاقية، قال تعالى: { قَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ}(يوسف، ١١١).

نعم كل الأنبياء والرسل الذين ذكرهم القرآن الكريم تحمل قصصهم عبرة وعظة، إلا أنّ أولو العزم من الرسل حملت قصصهم تلك المفاهيم المؤصلة للتّعلم الإسلامي الفعّال بأوضح صورها، كذلك فإنّ تسميتهم بأولي العزم إشارة إلى المكابدة والعناء مع أقوامهم، وإشارة أيضا إلى ما تحمله دعواتهم من تغيير لنظام حياة منحرف، إلى آخر يسير وفق هدي إلهي وكان لعرض قصصهم إمّا غرض عقائدي أو غرض هدائي، وبعبارة أخرى إنّ دعواتهم كشفت أساسيات (العقيدة، الشريعة، الأخلاق)، فكل ما نجده في قصص الأنبياء ودعواتهم هي إما دروس عقدية أو جهادية أو أخلاقية(الخالدي، ١٤١٦ هـ، ص ٢٩)، والقرآن الكريم يُبين في كل دعوة من دعواتهم مقصد إلهي(الجهاد، ٢٠٠٧، ص ٣٣)، يمكن أنّ نسمي تلك المقاصد في القصص بالمقاصد الكبرى، أو المفاهيم التّأصيلية، تلك المفاهيم هي أمور جوهرية تعطي بمجموعها صورة واضحة عن الدين الإلهي وغاياته في تأهيل الإنسان للخلافة الربانية.

المطلب الثالث: ضرب الأمثال

والأسلوب التعليمي الذي أخذ حيزًا كبيرًا في القرآن اسلوب ضرب الأمثال، الي تتعدد فيه المقاصد، وتتنوع فيها الغايات، وقد صرحت خطاباته المقدسة أن ضرب الأمثال هو لغرض التفكر والتّعقل، قال تعالى: { وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}(الحشر، ٢١)، ومثلها وقوله تعالى: { وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}(الزمر، ٢٧)، (أي وهذه الأمثال المذكورة نضربها لجميع الناس، لعلهم يتفكرون فيما يجب عليهم التفكر فيه ليتعظوا بالمواعظ، وينزجروا بالزواجر) (الزحيلي، ١٤١٨، ج ٢٨، ص ١١١)، وقوله تعالى: { وَتِلْكَ

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (١) ملحق (١) آذار. لسنة ٢٠٢٦م -١٤٤٧هـ

الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ}(العنكبوت، ٤٣)، فالراسخون في العلم يعرفون غاية ضرب الأمثال(ابن كثير، ١٤٢٠هـ، ج٣، ص٥٠١). (فجَعل غير العالمين كمن لا يعقل ولا يفقه) (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج ٢٤، ص ١٠٣)، والأمثال في خطابات القرآن الكريم تصور الحقائق الخارجة عن الحس وتقربها للسامع(الشيرازي، ١٤٢٦هـ، ج٨، ص ٤٢)، ولا يمكن أن يُستغنى عن ضرب الأمثال في الأبحاث التربوية والاجتماعية والأخلاقية(الشيرازي، ١٤٢٦هـ، ج٧، ص ٣٧٨)، وهو ضرب من ضروب الأدب استخدمه القرآن الكريم لفائدته العظيمة في التربية والتعليم لذا نلاحظ ذلك الحيز الواسع الذي حظي به ضرب الأمثال، والمثل يؤدي دوره سواء أكان الممثل به أمر عظيم أو حقير، ولا يمكن للباحثة في هذه الأسطر أن تستوفي حق المثل القرآني، فموضوعه واسع وأغراضه عظيمة سواء أكانت نفسية، أو اجتماعية، أو أخلاقية أو غير ذلك، وستكتفي بالإشارة إلى انموذجين منها:

الأول: قوله تعالى: { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}(النحل، ٧٦) فضرب الله تعالى هذا المثل لإرشاد الناس إلى احق، فالأبكم العاجز عن الإدراك والعمل، ولا يمكن الفائدة منه في جميع أحواله، لا يستوي مع حال الرجل كامل العقل، وفي ادراكه للخير والعمل به، فلا يمكن التسوية بين حال هذين الرّجلين(ابن عاشور، ١٩٨٤، ج ١٤، ص ٢٧٧).

والآخر قوله تعالى: { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (٢٦) يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ}(إبراهيم، ٢٤- ٢٧)، فضرب الله تعالى مثلًا بالكلمة الطيبة للحاجة إليها في كل باب من أبواب التعاملات، ولما لها من أثر في النفس، والكلمة الطيبة مفهوم واسع يشمل كل (كلّ سنّة ودستور وبرنامج وطريقة، وكلّ عمل، وكلّ إنسان.... وكلّ موجود طاهر ونظيف وذي بركة،

وجميعها كشجرة طيّبة) (الشيرازي، ١٤٢٦هـ، ج٧، ص ٥٠٠)، وعلى الضد من الكلمة الخبيثة التي تحمل دلالة العمل السيء، والخبيث، والطريق الضال والمنحرف(الشيرازي، ١٤٢٦هـ، ج٧، ص٥٠٢)..

وهذا المثل القرآني يجسد البعد التربوي للخطاب القرآني، الذي يضع دستور التعامل الأخلاقي في كل تعاملات الإنسان، ويجعله مقياس للخير في صغير التعاملات وكبيرها.

الخاتمة

توصل البحث إلى جملة من النتائج من أهمها:

١- أن التنمية التعليمية في المنظور القرآني تمثل مشروعًا حضاريًا متكاملًا، يقوم على أسس فكرية وأخلاقية وعملية، ويستند إلى أساليب تربوية فعالة.

٢- لا يوجد غير المنهج القرآني قادر على إنقاذ إنسان هذا العصر مما هو به لذلك فإن المسؤولية كل المسؤولية تقع على كاهل علماء المسلمين ومفكريهم وأولي الأمر منهم للقيام بهذا الدور العظيم

٣- إن القرآن الكريم أسس في خطاباته المباركة للطرق التعليمية الفعالة على مختلف الأصعدة كالنفسي، والاقتصادي، والاجتماعي.

٤- إن القرآن الكريم يؤسس لدولة العدل الإلهي عبر منظومته القيمية التي أصلت لكل ما من شأنه أن يرتقي بالإنسان ويؤهله لأداء دوره الرسالي، كونه المستخلف على هذه الأرض.

المقترحات

أن توسع الدراسات القرآنية في مجال التنمية التعليمية المستدامة على وفق نهج القرآن الكريم، وتوظيف مبادئ التنمية التعليمية القرآنية في المناهج الجامعية عبر ربط المعرفة بالقيم، وتفعيل دور القدوة في التعليم، و توظيف القصص القرآني والأمثال في العملية التعليمية.

المصادر والمراجع

١. ابن جزي، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، (ت: ٧٤١هـ)، (١٤١٦ هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، تح: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١.

٢. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر (ت : ١٣٩٣هـ)، (١٩٨٤)، التحرير والتنوير، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد،، الدار التونسية للنشر، تونس، (د. ط).

٣. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري (ت: ٧٧٤هـ)، (١٤٢٠هـ)، تفسير القرآن العظيم، تح : سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢.

٤. أبي السعود، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)، (بلا تاريخ)، إرشاد العقل السليم، دار إحياء التراث العربي بيروت، (د.ط)

٥. بلكا، إلياس، (١٤٢٩هـ)، الغيب والعقل، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة، ط١.

٦. الجزائري، أبو بكر جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر، (١٤٢٤هـ)، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط٥.

٧. الجهاد، هلال محمد، (٢٠٠٧)، الله والإنسان في القرآن علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم: المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١.

٨. حسن، محمد خليفة، (١٩٩٧)، آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط١.

٩. الخازن، أبو الحسن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم(ت:٧٤١هـ)، (١٤١٥هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.

١٠. الخالدي، خليل محمد، (١٤٣٣هـ)، التنظيم الاجتماعي في الإسلام، دار غيداء، ط١.

١١. الخالدي، صلاح، (١٤١٩هـ)، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، دار القلم، دمشق، ط١.
١٢. خضر، عبد العليم عبد الرحمن، (١٤٠٣هـ)، الإنسان في الكون بين القرآن والعلم، عالم المعرفة، المملكة العربية السعودية، ط١.
١٣. دسوقي، أحمد، (بلا تاريخ)، استخلاف الإنسان في الأرض، فاروق دار الدعوة، الاسكندرية، (د. ط)
١٤. الرازي، أبو عبد الله، محمد بن عمر، (١٤٢٠هـ)، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣.
١٥. زاهد، عبد الأمير كاظم، (١٤٤١هـ)، الاسس الفكرية للتربية المستدامة، دار القارئ، بيروت، ط١.
١٦. الزحيلي، وهبة بن مصطفى، (١٤١٨هـ)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط٢.
١٧. الزمخشري، جار الله، أبو القاسم، محمود بن عمرو بن أحمد (ت:٥٣٨هـ)، (١٤٠٧هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣.
١٨. زمرد، فريدة، (٢٠١٠/٣/١٢ م)، مفهوم التمكين في القرآن الكريم، مقال منشور على موقع ميثاق الرابطة.
١٩. السبزواري، عبد الأعلى، (١٤٣٢هـ)، الأخلاق في القرآن، دار الكاتب العربي،بيروت،ط١.
٢٠. السلمان، ميثم، (١٤٢٨هـ)، التحفيز الإيماني، مكتبة وتسجيلات القدس، الكويت، ط٢.
٢١. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، (١٤١٤ هـ)، فتح القدير، دار ابن كثير، دمشق، ط١.
٢٢. الشيرازي، ناصر مكارم، (١٤٢٦هـ)، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مدرسة الإمام علي (علي عليه السلام)، قم، ط١.

٢٣. الصدر، محمد باقر، (١٤٠٣هـ)، الإسلام يقود الحياة، وزارة الإرشاد الإسلامي، طهران، ط٢.
٢٤. الطباطبائي، محمد حسين، (١٩٩٧م)، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي، ١ط.
٢٥. الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، (ت: ٣١٠هـ)، (١٤٢٠ هـ)، جامع البيان في تأويل آي القرآن،، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١.
٢٦. عبد الباقي، محمد فؤاد، (١٤٢٨هـ)، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، دار المعرفة، بيروت، ط٥.
٢٧. عبد الحميد، راجح، (١٤١٢هـ)، نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، مكتبة المؤيد، الرياض، ط١.
٢٨. العقاد، عباس محمود، (٢٠٠٦م)، الفلسفة القرآنية، نهضة مصر للطباعة والنشر، الجيزة، ط٢.
٢٩. العلواني، طه جابر، (٢٠١٠م)، معالم في المنهج القرآني، دار السلام، (د. ط).
٣٠. الغزالي، محمد، (٢٠٠٥م)، كيف نتعامل مع القرآن، نهضة مصر للطباعة والتوزيع، مصر، ط٧.
٣١. الفقي، إبراهيم، (١٤٢٨هـ)، البرمجة اللغوية العصبية وفن الاتصال اللامحدود، إبداع للإعلام والنّشر، القاهرة، (د.ط).
٣٢. فؤاد باشا، (بلا تاريخ)، فلسفة العلوم بنظرة إسلامية، ط١، ١٤٠٤هـ.
٣٣. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بين فرح الأنصاري الخزرجي، شمس الدين، (١٣٨٤هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢.
٣٤. قطب، محمد، (١٤٠٨هـ)، الإنسان بين المادية والإسلام، دار الشروق، بيروت، ط٩.
٣٥. قنيبي، حامد صادق، (١٤٠٠هـ)، الكون والإنسان في التّصور الإسلامي، مكتبة الفلاح، الكويت، ط١.

٣٦. الكيلاني، طلال فائق، (٢٠١٤م)، التنمية البشرية في القرآن، دار المحجة البيضاء ط١.
٣٧. الكيلاني، ماجد عرسان، (١٤٠٧هـ)، فلسفة التربية الإسلامية، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١.
٣٨. مغنية، محمد جواد، (بلا تاريخ)، التفسير الكاشف، دار الأنوار، بيروت،ط٤
٣٩. ملكاوي، فتحي حسن، (١٤٣٤هـ)، منظومة القيم العليا(التوحيد، التزكية، العمران)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ط١.
٤٠. الميداني، عبد الرحمن حسن حنبكة، (١٤٢٠ هـ)، أجنحة المكر الثلاثة (التبشير- الاستشراق- الاستعمار)، دار القلم – دمشق، ط٨.
٤١. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد (ت:٤٦٨هـ)، (١٤١٢هـ)، أسباب النزول، تح : عصام بن عبد المحسن، دار الاصلاح الدمام، ط٢